السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي وأثرهما في الحفاظ على سلامة اللغة العربية

أ.د. أحمد جواد العتّابيّ

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية
قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

يعرض البحث إلى أهمية السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي وأثرهما في الحفاظ على اللغة وسلامتها ؛ فقد تنبهت الدول والمجتمعات إلى ما يعرض للغة من اختراق وعشوائية وسوء استعمال، وتهديد اللغة يتفاوت في مدى خطورته التي قد تصل إلى تقويض اللغة وانحسار استعمالها ، أو حتى انقراضها. وقد عملت الدول والمجتمعات التي تحرص على سلامة لغاتها وتسعى إلى الحفاظ عليها باتباع سياسة أطلقت عليها (السياسة اللغوية) القائمة على التخطيط اللغوي ، فهي مثيل للسياسة الاقتصادية والتخطيط الاقتصادي ، والسياسة العسكرية التخطيط العسكري وهكذا. أي إنها نظرت إلى اللغة بالأهمية نفسها التي نظرت بها إلى السياسة والاقتصاد والصحة والإسكان.

ويحرص البحث على توضيح مفهومي السياسة والتخطيط والشروط والأسس اللتين تقومان عليهما. فضلا عن هذين المبدأين وما كان لهما من آثار على الواقع اللغوي من حيث التطبيق والاستعمال.

مفهوم التخطيط والسياسة اللغوية:

شاع هذا المفهوم في نتصف القرن الماضي في كتابات اللساني الامريكي (اوكن) في العام ١٩٥٩م في بحث عرض فيه للمشكلات اللغوية في النرويج، وفي العام ١٩٦٨م قام كل من فركسون لق وكريتا بنشر كتاب مخصص للقضايا اللغوية في البلدان النامية. وفي العام ١٩٦٨_١٩٦٩م اجتمع أربعة لسانيين في مدينة هاواي للنظر في طبيعة التخطيط اللغوي ؛ حضره باحثون ومتخصصون في الانثروبولوجيا والاجتماع واللسانيات والاقتصاد، وقد كان من ثمرة هذا الاجتماع صدور كتاب بعنوان (can language be planed) (هل يمكن تخطيط اللغة) ، وكان أكثر اللسانيين نشاطا في هذا الحقل هو اللساني فيشمان؛ إذ كان يشرف على سلسلة دراسات سوسيو لسانية وأصدر مجموعة من الكتب بشأن التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية شملت حالات لغوية في بعض البلدان غير الأوربية (البانيا _ اندونيسيا _ ماليزيا _ فيتنام)(١) .

إن العلاقة بين التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية هي علاقة تلازمية ، إذ لا يمكن أن تقوم سياسة لغوية من غير أن تُسبق بتخطيط لغوي.

إذ يترتب على هذه العلاقة تناول علمي للأوضاع السوسيو لسانية وبلورة نوع من التدخل في هذه الأوضاع.

يعرّف التخطيط اللغوي(٢) بأنه: " تقويم للتغير اللغوي" ، ويفهم على أنه نشاط إنساني مصدره الحاجة إلى إيجاد حل لمشكلة لغوية ويكون منظما وواعيا، وعلى مراحل ولابد للتخطيط من(٣) :

١. تشخيص المشكل، كأن يعتمد المتكلمون صورا مختلفة للغة نفسها أو لا يعتمدون اللغة نفسها.
٢. تصور الحلول الممكنة.
٣. تقويم الحل المختار.

والتخطيط على أنواع، إذ يختلف بحسب الزاوية التي ينطلق منها، فإذا انطلق من زاوية القوى الاجتماعية فهو على نوعين:

١. تخطيط تحفيزي يقوم على التشاور بين القوى الاجتماعية.
٢. تخطيط إجباري يقوم على تجميع الوسائل socialsation الأول معتمد في البلدان الأوربية الغربية، والثاني اعتمد ف البلدان الأوربية الشرقية والشيء المشترك بين النوعين أن كليهما وطني (٤).

أما إذا كان التخطيط ينطلق من زاوية الاستعمال فهو ينقسم على قسمين بحسب (المتن) و(المنزلة)؛ فالذي يخص المتن يقوم على التدخلات التي تعرض لصورة اللغة التي منها (ابتكار الكتابة، التوليد المعجمي، الأبجدية ...) اما الذي يخص المنزلة فيقوم على التدخلات التي تعرض لوظائف اللغة ومنزلتها الاجتماعية وعلاقاتها باللغات الأخرى، التي منها تغير منزلة اللغة وترقيتها إلى لغة رسمية أو لغة تعليم في المدرسة (٥).

وفكرة التخطيط اللغوي تعتمد على ثلاثة أمور يمكن أن تكون على النحو الآتي:

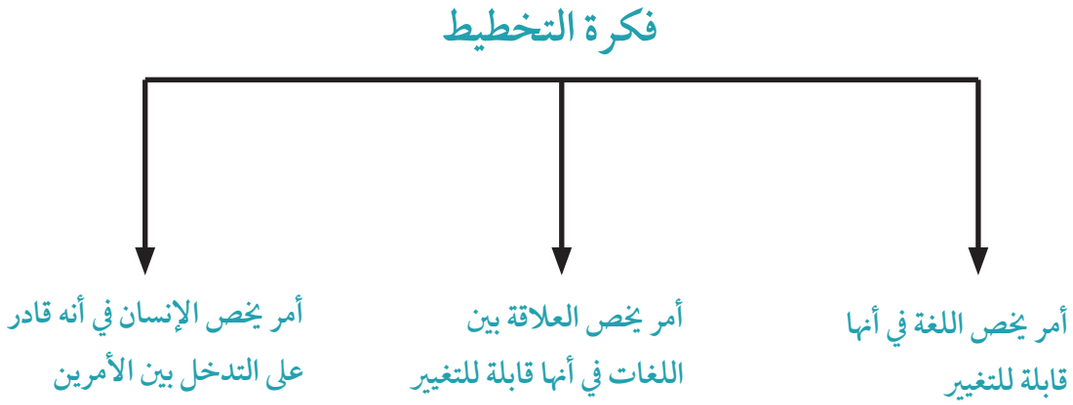

فكل تخطيط لغوي يفرض وجود سياسة لغوية ؛ إذ من الصعوبة أن تجد بلدا توصف فيه اللغة الرسمية على أنها اللغة الأولى ، أي إنها لغة الطفل التي يكتسبها في بيئته وأسرته .

في حين انه يمكن أن تجد أن المسافة بين اللغة الرسمية واللغة الأم ليست واحدة في جميع البلدان ، أي إن المسافة بين اللغة الرسمية (الفصيحة) في مجتمعاتنا العربية ليست بقدر المسافة التي بين اللغة الانكليزية الرسمية واللغة الأم.

وهذا هو احد الأهداف المهمة التي يسعى التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية إلى التقريب بين المستويين وتقليل المسافة إلى اقرب ما يمكن.

يقوم التخطيط اللغوي على وسائل أهمها:

١. إصدار القوانين والتوصيات والتعليمات ، إذ يعد ذلك الأساس الذي يقوم عليه عملية التخطيط ، وتكون هذه القوانين بحسب المشكلات التي يعرض لها التخطيط فبعضها يخص الدفاع عن اللغة بترقيتها أو حمايتها ، وبعضها يخص الاستعمال وبعضها يخص جوهر اللغة وصورتها(٦) .

٢. الوصف الدقيق للأوضاع اللغوية والواقع اللغوي.

٣. الجهد اللساني الذي ينهض بالجانب التقني من جهة والجانب النفسي من جهة أخرى.

٤. تقنيات التدخل واختبارات المجتمع، ففي واقعنا اللغوي يمكن ان نضع توصيفا لسانيا للاستعمال اللغوي من خلال المستويين الفصيح والعامي، وعلى النحو الآتي:

	الفصيحة	العامية
في الاستعمال:	تستعمل في المكتوب والمقروء ونادرا في المنطوق	لا تستعمل في المكتوب ولا المقروء، وتستعمل كثيرا في المنطوق
في الاتصال:	فيها عجز اتصالي تواصلي	وفرة اتصالية تواصلية
منزلتها:	رسمية: تعليم، إدارة، مؤسسات	وطنية: حميمية، تفاهم، اتصال
المستوى:	تنوع رفيع	تنوع وضيع
النمط:	استقلالية، تاريخية	تاريخية، حميمية

ويبدو أن الواقع اللغوي العربي يعاني من اتساع الهوة بين الوعي العام في الاقتصاد والسياسة والمعرفة وغياب الوعي بالمسألة اللغوية، وان هذه الهوة بلغت من الاتساع درجة لم تعرفها المجتمعات الاخرى ، إذ ان اللغة في المجتمع العربي تتعرض للإهمال والإساءة والاختراق بوعي أو بغير وعي.

يقول الدكتور المسدي: ان "التناقض بين ما يقال عن الحفاظ على اللغة وسلامتها وأهميتها ومكانتها وبين السلوك الواقعي والممارسة التي تكون بالضد مما يقال على السنة العرب حكاما وشعوبا ومؤسسات"(٧) .

إن الخطر الذي يحيط بالواقع اللغوي قد يكون من أصحاب القرار والقيمين على أمور الأنظمة السياسية ، فهم لا ينظرون إلى اللغة بوصفها أداة ثقافية تمثل السيادة الثقافية اللغوية حاملة البعد الحضاري ورمزا للهوية الوطنية والقومية ، إذ إننا لا نعرف بلدا عربيا انتهج سياسة لغوية أو أسس للتخطيط اللغوي ، ولم تخصص قمة من قمم العرب وهي كثيرة لتبحث في شأن الخطر الذي يهدد لغتهم _ أصحاب السمو والجلالة _ وكأن الأمر لا يعنيهم لا من قريب ولا من بعيد .

إن المتتبع للمشهد الرسمي العربي يستطيع أن يقرر بأن الأنظمة العربية تميل إلى تفضيل اللهجات العامية واللغات الأجنبية في مجالات الحياة المتنوعة ولاسيما في الإعلام بأنواعه المختلفة وكذلك في المجالات الأخرى كالندوات والمؤتمرات والتعليم الخاص.

لقد سبقتنا أمم ومجتمعات أخذت بمبدأي التخطيط والسياسة ، إذ بواسطة هذين المبدأين حققت ما

كانت تصبو إليه في جعل لغاتها محصنة قوية معافاة ، وكان للحكام والقادة اثر واضح في تطوير الواقع اللغوي متنا ومنزلة ، فهذه فرنسا وهذه الصين وهذه تركيا وهذه اندونيسيا وهذه تنزانيا وهذه إسرائيل التي استطاعت أن تبعث الحياة بلغتها الميتة عن طريق التخطيط والسياسة اللغوية ، فما الذي يمنعنا من أن نخطط مثلما يخطط الآخرون.

الخاتمة:

حرص البحث على أن يكشف عن طبيعة الواقع اللغوي العربي وما يعرض للغة من انكسار وانحسار، وان الخطر الذي يهدد لغتنا يضعنا أمام منعطف خطر تدفع اللغة ثمنه وتتحمل عواقبه ما لم نتنبه ونأخذ الأمور على محمل الجد .

إن إصلاح شأن اللغة ليس بالأمر الصعب أو المستحيل ، فأمامنا تجارب للغات كادت تنقرض وتموت لولا أن هب أبناؤها فاتخذوا من التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية سبيلا للحفاظ على لغاتهم وسلامتها.

إن تنظيم العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية ينهض بها التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية.

الهوامش

(١)ينظر: السياسات اللغوية: ٨.

(٢) السياسات اللغوية: ١٦ .

(٣) ينظر: السياسة اللغوية في التعليم: ٥_٦ .

(٤) ينظر: السياسات اللغوية: ١٥_١٨ .

(٥)السياسات اللغوية: ٢٣ .

(٦) ينظر: السياسات اللغوية: ٣٥.

(٧) العرب والانتحار اللغوي: ٢٠ .